



من زاوية تربوية

كبر دماغك..

إعداد

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر

من زاوية تربوية كبر دماغك ..

جملة يردها المصريون بين الحين والآخر في المواقف التي تتطلب من المرء أن يغض الطرف عن تهايات الأمور، وهي فكرة تربوية جيدة، وإن كانت تستخدم في بعض الأحيان بشكل غير تربوي. فعلى المرء عندما يتعامل مع الآخرين إلا يقف أمام كل صغيرة وكبيرة ليناقضهم ويحاسبهم عليها؛ ظنا منه بأنه يجب أن يكون دقيقا فلا يسمح بالخطأ ولو كان يسيرا.

إن أخذ الأمور بالشدة والتدقيق والمتابعة المستمرة والتفتيش وراء من نتعامل معهم ومحاسبتهم على كل صغيرة وكبيرة يحيل الحياة إلى جحيم؛ لأننا لسنا الملائكة الطييعين ولا من الأنبياء المعصومين. ومن يفعل ذلك يجد أنه يخسر من حوله واحدا تلو الآخر، فمن منا يتحمل هذا التدقيق والتمحيص من الآخرين، والمحاسبة على كل واردة وشاردة حتى لو كانت جهات رقابية.

إن الأخذ بفكرة التغافل مبدا تربوي مهم لا غني للمرء عنه إذا أراد النجاح في علاقاته بمن حوله. وهناك فرق بين الغفلة والتغافل، فالأول مذموم والثاني محمود؛ لأن الثاني عن علم وقصد، بينما الأول عن غباء وجهل. إن التغافل مهارة حياتية ودعوة دينية ومطلب اجتماعي؛ وهو ليس غباء وإنما صبر وأناة وحلم وتجاوز عن الآخرين، ودفع للسيئة بالحسنة؛ خاصة وهي تتعلق بالهفوات الصغيرة التي لا ضير منها.

لقد رسم لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة منهجا رائعا للتغافل في التعامل مع الآخرين، فهي رسول الله مع زوجته حفصة متجاهلا بعض ما صدر منها فعاتبها على بعضه ولم يذكر بعضه تأدبا منه - صلى الله عليه وسلم - ، وقال القرآن في ذلك: "عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ" (التحریم: 3)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن المشركين كانوا يسبون النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مُدْمَمًا، ويلعنون مُدْمَمًا، وأنا محمد . " ! (البخاري)

وهاهم أصحاب رسول الله والتابعون والعلماء يقدمون لنا نماذج وكلمات رائعة تكتب بماء الذهب، فقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه " : - مَنْ لَمْ يَتَغَاْفَلْ تَنَغَّصَتْ عَيْشَتَهُ " .

وقال معاوية - رضي الله عنه " : - العقلُ مكيالٌ، ثلثه الفطنة، وثلثاه التغافل . " (العقد الفريد لابن عبد ربه: ٥٠٥ / 2) أي أن التغافل في حياة المرء فاق الذكاء، قال احد الحكماء: " إن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر" (الذخاير والعقريات للبرقوقي: ٨٩ / 2) وقال ابن الأثير واصفا صلاح الدين الأيوبي " : وكان صَبُوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يُعلمه بذلك، وقيل " : تناس مساوئ الإخوان تستدم وذهم " ، قيل للإمام أحمد - رحمه الله " : - العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل . " فقال " : العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل) . " شعب الايمان للبيهقي: ٣٣٠ / 6)

وقد قال بعض الحكماء " : وجدت أكثر أمور الدنيا لا تجوز إلا بالتغافل" .

ويقول أبو تمام:

ليس الغبي بسيد قومه وإنما سيد قومه المتغابي

وقال الأعمش - رحمه الله : "التغافل يطفئ شراً كثيراً" .

وفي ضوء ما سبق فإنه ينبغي على المرء أن يتجاوز عن صفات الأمور في التعامل مع الآخرين كالزوجة والأبناء والوالدين والأهل والجيران. وفي مواقف التعليم والتعلم على المعلم أن يسلك هذا السلوك مع طلابه وذلك لعدة اعتبارات تربوية من أهمها: أنه سيكون نموذجاً وقدوة لطلابيه فكما تغافل هو عن سقطاتهم سيتغافلون هم أيضاً عن سقطات الآخرين.

التغافل مهارة حياتية تُكسب الفرد العديد من الخصال كالصبر والعفو، والدفء بالتي هي أحسن، قال تعالى: " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (فصلت: 34). والتغافل هو أول درجات الدفع والتي هي أحسن. كما تعلمهم أيضا الأناة وعدم التسرع في اتخاذ القرار. أنه يتيح الفرص أمام تلاميذه للتعلم، فلكي يتعلم التلميذ حتما سيخطئ، وعلينا التغافل عن أخطائه.

تكسب التلاميذ عدم الخوف والثقة بالنفس في المواقف المختلفة، وتمنحهم روح المبادأة فهم لن يعاقبوا أو يحاسبوا إذا حاولوا ولم يُوفقوا.

إن التغافل يثاب عليه المرء في الدنيا قبل الآخرة فهو من حسن الخلق، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول " : إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم " . (رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني).

إن التغافل يضي على المجتمع روح التسامح والمحبة والسلام.

إن التغافل من السمات التي تعطي الشخصية قوة ورونقا وقبولاً ورزانة وتجعله في نظر الآخرين من العقلاء والحكماء.

فهنيئا - عزيزي القارئ - لمن جعل التغافل ديدنه، وجعل منه على السلوك رقيبا، وفي معاملة الآخرين صديقا، وعلى درب الحياة رقيقا.

فخذ الحكمة من أفواه المصريين " وكبر دماغك في التعامل مع الآخرين"

أ.د/ خالد عرفان

عميد كلية التربية للبنين بالقاهرة